Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

العدد السابع عشر – حزيران – 2026 / June

الشعر ودوره في إعادة تشكيل الوعي الديني في أثناء الردة دراسة في موضوعات الثبات والارتداد في شعر صدر الإسلام

م. م فتحي طه ضاري صالح[1]
[1،2] جامعة سامراء - كلية الآداب - قسم الآثار – العراق

fathealsamre@gmail.com

ملخص. استهدفت الدراسة الكشف عن عوامل تشكيل الوعي الديني في الشعر، والمحاججة بين الفريقين، ونصح المسلمين لهم بالثبات على الدين، ومدى تأثير ذلك في نفوسهم، كما يكشف عن عوامل تأثير شعر المرتدين في نفوس قبائلهم وتحالفاتهم العصبية، هذا التأثير الذي تعدى البنية الجمالية إلى بنيات أخرى ساهمت في تشكيل الوعي الجمعي والتأثير التواصلي عند الفريقين.وللوصول إلى ذلك اعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي كأداة فاعلة للتنقيب عن عوامل تشكيل الوعي الديني الذي اعتمده شعراء المسلمين في التأثير على المرتدين وإرجاعهم إلى الإسلام، وكذا في الفريق الآخر، كما اعتمد على المنهج الوصفي التحليلي للبحث عن العوامل الخارجية المحيطة بالنص والداخلية المؤثرة في المتلقي. وقد نتج عن ذلك عدة أسئلة أهمها: ما هي عوامل التأثير في شعر المسلمين في رسائلهم الشعرية إلى غيرهم للثبات على الإسلام؟ وما هي عوامل التأثير في شعر المرتدين على أتباعهم؟ وتوصل البحث إلى عدة نتائج أهمها: أن شعر هذه الفترة اتسم بالقصر والإيجاز في عدد الأبيات، والتركيز على الرسالة الإبلاغية، والمباشرة في طرح الفكرة دون تلميح، مع وضوح الوعي الديني عند المسلمين وضبابيته عند المرتدين. وتوصل البحث لعدة توصيات أهمها: التوجه إلى دراسة شعر حركة الردة من الوعي الديني والسياسي في رسائل جامعية لأهميته، وغزارته.

الكلمات المفتاحية: أسباب الردة– الوعي الديني– الثبات والارتداد– التأثير والتواصلية

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

Abstract. The study aimed to uncover the factors shaping religious awareness in poetry, the argument between the two groups, and the Muslims' advice to remain steadfast in their faith, and the extent of this influence on their psyches. It also revealed the factors influencing the poetry of apostates on the psyches of their tribes and tribal alliances. This influence extended beyond aesthetic structure to other structures that contributed to shaping collective awareness and communicative influence among both groups To achieve this, the study relied on the inductive approach as an effective tool to explore the factors shaping religious awareness employed by Muslim poets to influence apostates and bring them back to Islam, as well as on the other group. It also relied on the descriptive-analytical approach to explore the external factors surrounding the text and the internal factors influencing the recipient. This resulted in several questions, the most important of which are: What are the factors influencing Muslim poetry in their poetic messages to others to remain steadfast in Islam? What are the factors influencing the poetry of apostates on their followers**?** The research reached several conclusions, the most important of which are that the poetry of this period was characterized by brevity and conciseness in the number of verses, a focus on the communicative message, and a direct presentation of ideas without allusion. This was accompanied by a clear religious awareness among Muslims and a vague one among apostates. The research also reached several recommendations, the most important of which is the need to study the poetry of the apostasy movement from a religious and political perspective in university theses, given its importance and abundance**.**

Keywords: Causes of apostasy - religious awareness - steadfastness and apostasy - influence and communication.

المقدمة

للشعر دور كبير في التأثير على المجتمع في الناحية السياسية والاجتماعية، فهو يقوم مقام الجهاز الإعلامي في عصرنا الحديث، وكانت العرب تعرف للشعر مكانته، ترده، وتتغنى به في مجالسها، فهو ديوانها الجامع لخلفيتها الثقافية، واللغوية والاجتماعية، والسياسية، وكان له أثر بالغ في إلهاب حمية المجاهدين في معاركهم ضد المشركين، وهو المؤثر في تشكيل الوعي الديني والثقافي، ومع ظهور حركة الردة تحول الشعر إلى سلاح إعلامي يتنابذ به الشعراء، خاصة مع تغير الاتجاهات العقدية لدى كثير من

القبائل، وصار السلاح الأقوى في نشر الوعي الديني، والتحذير من الردة، ونقض العهد، ومن هنا جاءت هذه الدراسة بعنوان: (الشعر ودوره في إعادة تشكيل الوعي الديني أثناء الردة: دراسة في موضوعات الثبات والارتداد في شعر صدر الإسلام).

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في كون هذه الحقبة التاريخية حقبة فاصلة في تاريخ الدولة الإسلامية، إذ مثلت الصراعات المتعددة بعد وفاة النبي –ﷺ– التي واجهتها الدولة الإسلامية، من ناحية سد الفراغ الناشئ عن وفاته باستخلاف خليفة للمسلمين يجمعون عليه، واستمرار بث الدعوة وتوسيع نطاق الفتوحات، وبحدوث حركات الردة مثّل الشعر إعادة تشكيل الوعي الديني والهوية الإسلامية الفردية والجمعية، فكانت دراسة هذا التأثير التوعوي وإظهار فاعليته ونجاعته.

أهداف البحث:

استجلاء البُعد الوظيفي للشعر في هذه المرحلة المفصلية من التاريخ الإسلامي، من خلال تتبّع موضوعات الثبات والإيمان والولاء للعقيدة في شعر صدر الإسلام، مقابل الإشارات المتفرقة إلى الارتداد أو التذبذب؛ سواء كانت في شعر المرتدين أنفسهم – إن وُجد – أو فيما نُسب إليهم، أو في شعر الردود عليهم، ويولي البحث اهتمامًا خاصًّا بكيفية اشتغال الشعر على ترسيخ منظومة إيمانية تعيد ضبط الوعي الجمعي، وتواجه آثار التفكك العقدي والاجتماعي الذي خلّفته الردة.

منهج البحث:

يعتمد البحث منهجًا تحليليًّا موضوعاتيًّا، يجمع بين الرصد التاريخي والتأويل النصي، ويعتمد على مصادر شعر صدر الإسلام، والدواوين والمغازي، إضافة إلى كتب الأدب والنقد والدراسات الحديثة التي تناولت الشعر في صدر الإسلام من زوايا مختلفة.

مشكلة البحث:

برغم أن حروب الردة بعد وفاة النبي ﷺ كانت من أبرز الأحداث المفصلية في التاريخ الإسلامي، فقد ظل تناولها في الدراسات الأدبية محدودًا ومقتصرًا غالبًا على الإشارات العامة أو السياقات التاريخية، دون النظر إلى الشعر بوصفه فاعلًا ثقافيًا ودينيًا أسهم في التعامل مع آثار الردة ومعالجة نتائجها على مستوى الوعي الجمعي، ومن جهة أخرى، غاب عن كثير من الباحثين استكشاف الكيفية التي أعاد بها الشعر تشكيل الوعي الديني بعد هذه الردة، وكيف أسهم في استعادة التماسك العقدي، ودعم الثبات العقائدي في وجه التذبذب والانحراف؛ فالشعر لم يكن مجرد وسيلة للتوثيق أو تسجيل الوقائع، بل كان أداة لإعادة بناء

الوعي الديني، وتحفيز الثبات، وتكريس قيم الإيمان في مواجهة ظاهرة الردة بوصفها صدمة روحية واجتماعية؛ من هنا تبرز مشكلة هذا البحث في غياب الدراسة الموضوعية المركزة التي تكشف دور الشعر في مرحلة الردة، لا بوصفه انعكاسًا لحالة اجتماعية فحسب، بل بوصفه أداة خطابية وظيفية، ذات دور في إعادة تشكيل الوعي الديني وتثبيت المفاهيم العقدية في ضوء التحولات الكبرى التي شهدها المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسول ﷺ.

أسئلة البحث:

طرح البحث عدة أسئلة أهمها:

- ما عوامل التأثير في شعر المسلمين في رسائلهم الشعرية إلى غيرهم للثبات على الإسلام؟
- ما عوامل التأثير في شعر المرتدين على أتباعهم؟
- كيف أمكن للمسلمين إعادة تشكيل الوعي الديني عند هؤلاء المرتدين مرة أخرى؟

الدراسات السابقة:

لم أعثر على دراسة تحمل هذا العنوان، ولكن هناك بعض الدراسات القريب منها، أذكر منها: (مفهوم الردة وموضوعات ما قيل فيها من شعر)، عدنان محمد أحمد، بحث منشور في مجلة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج 30، ع 2، 2008م.

(الانتماء الجغرافي في شعر حروب الردة)، حيدر عدنان كريم، وأنصاف سلمان علوان، بحث منشور في مجلة الباحث، مج 1، ع 40، 2021م.

(وسائل الاتصالات من التاريخ والشعر في حروب الردة)، حسن محمد الربابعة، وأحمد حسن الربابعة، بحث منشور في مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، مج 8، ع 1، 2011م.

خطة البحث:

انقسم البحث إلى ثلاثة مباحث وخاتمة، وركز البحث على الجانب التطبيقي أكثر من الجانب النظري.

المبحث الأول: الردة ومظاهر اختلال الوعي الديني.

وفيه مطلبان: الأول: أسباب الردة: دينية أم سياسية؟

المطلب الثاني: الخطاب الشعري في لحظة الاضطراب.

المبحث الثاني: موضوعات الثبات الديني في شعر صدر الإسلام.

وفيه مطلبان: الأول: تمجيد المؤمنين الثابتين والدفاع عن مركزية المدينة النبوية.

المطلب الثاني: تثبيت مركزية الخلافة والولاء لها.

المبحث الثالث: خطاب الردة في الشعر بين التستر والمواجهة.

وفيه مطلبان: الأول: محاولات شعرية لتبرير الردة أو التخفيف من وقعها.

المطلب الثاني: الشعر بوصفه حارسًا للعقيدة.

وجاءت الخاتمة لتضم أهم النتائج التي توصل إليها البحث، مع التوصيات المهمة، وأتبعت ذلك بذكر المصادر والمراجع.

1. المبحث الأول: الردة ومظاهر اختلال الوعي الديني.

1.1. المطلب الأول: أسباب الردة: دينية أم سياسية؟

- **مفهوم الردة لغة واصطلاحًا:**

الردة في اللغة تعني: الرجوع والارتداد، يقول ابن دريد: " الرِّدَّة: الرُّجُوع عَن الشَّيْء وَمِنْه الرِّدَّة عَن الْإِسْلَام"(ابن دريد، 1987م، 1/ 110).

وفي الاصطلاح: ضبطها علماء المسلمين بكل قول، أو فعل يُظهر نقض الإسلام، يقول النووي: "هي قطع الإسلام، ويحصل ذلك تارة بالقول الذي هو كفر، وتارة بالفعل"(النووي، 1991م، 64/10).

ويقول ابن رجب: هي أن "يترك دينه، ويفارق الجماعة، وهو مقر بالشهادتين، ويدعي الإسلام، كما إذا جحد شيئًا من أركان الإسلام، أو سبَّ الله ورسوله، أو كفر ببعض الملائكة، أو النبيين، أو الكتب المذكورة في القرآن مع العلم بذلك"(ابن رجب، 2001م، 318/1).

وتعريف ابن رجب فيه تفصيل أكثر، وينطبق على أصناف المرتدين في خلافة أبي بكر، وقد وردت عدة آيات في القرآن الكريم تبين أن من مات مرتدًا عن دينه فهو كافر استحق الخلود في النار، قال تعالى: {وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: 217]، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ} [المائدة: 54]

فالردة إذًا هي الرجوع عن الإسلام بالكفر، أو مفارقة جماعة المسلمين، أو جحود شيئًا من أركان الإسلام، وهذا ما حدث في الجزيرة العربية، إذ بعد موت النبي –ﷺ– لم يثبت على الإسلام سوى أهل المدينة، ومكة، وثقيف، وبعض القبائل المجاورة لهذه المدن الثلاث، أما عامة قبائل العرب فقد ارتدت عن الإسلام،

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

وكانت ردتهم متفاوتة، فمنهم من أقر بأركان الإسلام، ومَنَع الزكاة –وكانت هناك مفاوضات بين الصحابة وأبي بكر في قبول ذلك منهم، خاصة في وضع المدينة الحرج اقتصاديًّا، وعسكريًّا–، ومنهم من ارتد عن الإسلام واعتقد أنه انتهى بموت النبي –ﷺ–، ومنهم من اتبع المتنبئين من قومه، ومنهم من رفض خلافة أبي بكر لكونه من بني فهر، ولو كانت الخلافة –على رأيه– لرجل من بني هاشم ما اعترضوا عليه، ومن خلال ذلك نفهم أن الردة كانت حركة لها جانبان: جانب اقتصادي، وآخر سياسي، ويمكننا إرجاع أسباب الردة إلى:

1–ضعف الوعي الديني والعصبية القبلية بالانسلاخ من الإسلام؛ لأنهم كانوا قد أسلموا نفاقًا، والإسلام قيَّد حريتهم، ففرض عليهم قِيمًا أخلاقية واجتماعية حَدَّتْ من شهواتهم الدنيوية، ويدخل في هذا من أسلم رغبًا، في المال والعطاء، أو رهبًا من انتصارات المسلمين والخوف من بطشهم.

2–اعتقاد بعض القبائل أن الزكاة جباية تؤخذ من أموالهم، ولم يقروا بأنها ركن من أركان الإسلام.

3–رفض بعض القبائل لخلافة أبي بكر رضي الله عنه.

4– الطمع في الملك والرئاسة، وزعامة العرب، وهؤلاء هم من اتبعوا المتنبئين، وهم في قرارة أنفسهم يعلمون أنهم كذابون دجالون.

وكان لهذه الحركة أثر كبير على الدولة الإسلامية الناشئة، إذ البعد الاقتصادي بمنع الزكاة يضعف قوة الدولة من ناحية، ومن ناحية أخرى يضعف البعد الديني، فمنع الزكاة مع الإقرار بسائر الأركان يحدث انقسامًا في الدين، ويؤدي إلى الإيمان ببعض القرآن والكفر ببعضه، وقد جاءت الزكاة مقرونة بالصلاة في آيات كثيرة في القرآن، أما البعد السياسي فهو تمزيق الدولة وإعادتها إلى القبلية الصغيرة المتناحرة مرة أخرى كما كانت قبل الإسلام، وسقوط هيبة الدولة الإسلامية عند الدول الأخرى، وعدم التمكن من نشر الدعوة.

وقد تنبأ ثلاثة في العرب إضافة إلى امرأة (سجاح)، فتنبأ طليحة بن خويلد الأسدي في بني أسد غرب نجد، وتبعه قبائل غطفان وبعض طيء، وتنبأ مسيلمة بن الحبيب في اليمامة شمال نجد، –وهي حاليًا الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية– وتبعه بنو حنيفة، وبعض القبائل المجاورة له، وتنبأ عبهلة بن كعب (الأسود العنسي) في اليمن، وقد قُتل قبل وفاته –ﷺ– بقليل، وقيل بعد وفاته مباشرة وكان أول خبر نصرٍ جاءت به الأخبار لأبي بكر(ابن كثير، 1997م،425/9)، وأما الآخران فاستفحل أمرهما واشتد خطرهما.

وارتد من قبائل العرب غير ما سبق (عبس، وذبيان، وعصيَّة، وعميرة، وخفاف، وبنو عوف بن امرئ القيس، وذكوان، وبنو حارثة، وأهل البحرين، وبكر بن وائل، وأهل دبا من أزد عمان، والنمر بن قاسط،

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

وكلب، وقضاعة، وبنو عامر، وفزارة، وجهينة، ومزينة، وعامة قبائل كندة باليمن وحضرموت) (الواقدي، 1990م، 48).

وتدل حركات الردة على اختلال الوعي الديني عند المرتدين، فمن ادعى النبوة يعلم يقينًا أنه لا نبي بعد رسول الله –ﷺ–، ولكنه في الأصل قد أسلم على نفاق، وطلب بدعوته الرئاسة والملك، ولم يكن عنده وعي بتعاليم الدين، أو رسخت مفاهيمه عنده، فمسيلمة الكذاب كان في وفد قومه ولم يلق النبي –ﷺ– أو يسمع منه، وكان لا يعرف شيئًا من تعاليم الإسلام، ولكنه خدع قومه بالتلبيس عليهم، وحاول تقليد النبي –ﷺ– فادعى أنه يوحى إليه وينزل عليه قرآنا، ووضع صلاة الفجر والعشاء عن بني تميم أتباع سجاح مهرًا لها.

وبهذا يتضح أن المتنبئين لم يأتوا بجديد تعرفه العرب، وإنما داروا في فلك الدين الحق الذي أسسه النبي –ﷺ– بأركانه من الصلاة والزكاة والحج والتشريعات الأسرية كالزواج والطلاق، ووجود كتاب منزل من عند الله هو دستور للأمة، فحاولوا تقليده بشكل سيء ففشل الجميع وظهر كذبهم.

ومَن منع الزكاة وأقر بأركان الإسلام عنده خلل في وعيه الديني لأنه جزَّأ الإسلام، فالزكاة ركن من أركان الإسلام كالصلاة، وهي مقرونة بالصلاة في آيات القرآن، ولا يصح الإيمان ببعض الأركان والكفر ببعضها، وإلا صار الديون ألعوبة في أيدي الناس، قال تعالى: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [البقرة: 85]، وهذا ما حدث لهم في الدنيا، وينتظرون جزاءهم في الآخرة.

وأما من امتنع عن أدائها مع علمه بوجوبها؛ ففيه خلاف بين الفقهاء ليس محله هنا، ولكن الصحابة أطلقوا على الجميع مصطلح المرتدين تغليبًا.

1.2. المطلب الثاني: الخطاب الشعري في لحظة الاضطراب.

داخل المدينة: كانت أحوال المدينة في فترة الردة عصيبة اقتصاديًا وسياسيًا، ففي الجانب الاقتصادي خلت الدولة من الأموال تقريبًا، ومنع العرب زكاة أموالهم، وكان المسلمون جهزوا جيش أسامة بن زيد للخروج إلى الشام، فاستنفذ الأموال، وأما عسكريًا فقد أصر الخليفة على إنفاذ جيش أسامة، ولذا حدث الجدال بين المسلمين والخليفة في الأمرين، الأول عدم إنفاذ جيش أسامة حتى لا تخلو المدينة من المقاتلين في هذا الوقت، ويكون عونًا لهم على قتال المرتدين، وحتى لا يطمع المرتدون في المدينة ويظنون الضعف بالمسلمين، والثاني أن يقبل ممن أقر بأركان الإسلام ومنع الزكاة هذا العام، ثم يأخذها منه بعد ذلك.

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

موقف الخليفة من الأمرين: رفض أبو بكر الأمران المعروضان من المسلمين رفضًا باتًّا، وعلل ذلك بطاعة رسول الله –ﷺ– في إنفاذ جيش أسامة، وأنه إذا سمعت به العرب هابوا المسلمين وعلموا أنَّ بهم قوة.

والثاني: أنه لن يفرق بين أركان الإسلام، فلن يفرق بين الزكاة والصلاة لأنهما قرينان في القرآن والسنة.

وكان ذلك بعد مشاورة الصحابة، وقد نقلت كتب التاريخ هذه المشاورات والجدال بينهم، وقد دار الحوار بينه وبين عمر بن الخطاب على مرأى من الصحابة على هذا النحو:

–عمر: إن العرب قد ارتدت على أعقابها كفارًا كما قد علمت، وأنت تريد أن تنفذ جيش أسامة بن زيد، وفي جيش أسامة جماهير العرب وأبطالهم، فلو حبسته عندك لقويت به على من ارتدت من هؤلاء العرب.

–أبو بكر: لو علمت أن السباع تأكلني في هذه المدينة لأنفذت جيش أسامة بن زيد، كما قال النبي –ﷺ–: "أمضوا جيش أسامة"(الطبري، 1899م، 130/3)، {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ} [التوبة: 51].

–عمر: يا خليفة رسول الله، فلو أغمضت وتجافيت عن زكاة هؤلاء العرب في عامك هذا ورفقت بهم، لرجوت أن يرجعوا عما هم عليه، فقد علمت أن النبي –ﷺ– كان يقول: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله، فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله".

–أبو بكر: والله لو منعوني من الزكاة عقالًا مما كان يأخذ منهم النبي –ﷺ– لقاتلتهم عليه أبدًا ولو ما حييت، ولا والله يا أبا حفص، ما أفرق بين الصلاة والزكاة؛ لأنهما مقرونتان(الواقدي، 1990م، 51، 52).

وكان نتيجة هذه المشاورة أن شرح الله صدر عمر لرأي أبي بكر، وتتابع الناس على رأيه، وجاء دور الشعر ليؤكد هذه النتيجة ورضا الصحابة بها، فأنشأ الحارث بن هشام المخزومي [الكامل]:

عُمَرٌ رَأَى وَاللَّهُ بَالِغُ أَمْرِهِ
رَأْيًا فَخَالَفَ رَأْيَهُ الصِّدِّيقُ
إِذْ قَالَ غَمِّضْ فِي الْهُدَى إِغْمَاضَةً
وَارْفُقْ فَإِنَّكَ فِي الأُمُورِ رَفِيقُ
وَتَجَافَ عَنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَبَى لَهُ
إِلا قِتَالُ عَدُوِّهِ التَّوْفِيقُ
إِنَّ الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ نُفُوسُنَا
فِي الْحَادِثَاتِ مِنَ الْحُرُوبِ تَتُوقُ

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

قَوْلُ الْخَلِيفَةِ قَاتِلُوا أَعْدَاءَكُمْ
إِنَّ الدَّنِيَّةَ رَدَّهُ التَّعْوِيقِ
وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُوا عِقَالا وَاحِدًا
أَوْ فَاتَ مما عنده تفروق
لَرَمَيْتُ قَوْمًا بِالْقَبَائِلِ وَالْقَنَا
مَنَعُوا الزَّكَاةَ وإِنَّني لمحوق
بِقِتَالِهِمْ فِي قِلَّةٍ أَوْ كَثْرَةٍ
مَا دَامَ لِلسَّهْمِ الْمُرَيَّشِ فُوقُ
أَعْظِمْ بِنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا نِعْمَةً
فيها لحرب عدوّنا مسبوق(الواقدي، 1990م، 53)

وهذه المشاورة تؤكد الوعي الديني عند الصحابة الذي تشبعت به قلوبهم، وظهر في سلوكهم، وكان أبو بكر أكثر وعيًا منهم بالجانب الديني يظهر ذلك في رده على التزييف الناشئ عن الشبهات المطروحة، فإمضاء جيش أسامة طاعة لرسول الله، ومحاربة مانعي الزكاة، نظر للدين بلحمته الكلية، والمشاورة إظهار للفروقات الفردية بين المطروح والمأمول.

وفي الجانب السياسي أيضًا كان هناك نزاع بين الأنصار والمهاجرين في أحقيتهم بالخلافة، وبعد المبايعة لأبي بكر كانت هناك بعض طوائف من الأنصار في نفوسهم شيء من ذلك، ولذا نجد الخطاب الشعري له دور بارز في تسكين غضبهم، وتحذيرهم من عدوهم الخارجي/المرتدين، وما يحيق بهم من الخطر خارج المدينة مما يجعلهم يجتمعون على كلمة واحدة أفضل من الفرقة والشقاق، ومن هؤلاء الشعراء الذين كان لهم دور بارز في تنبيه قومه إلى النهوض للجهاد، مالك بْنُ التَّيِّهَانِ الأنصاريّ، فقد روى الواقدي بسنده: أنه اجتمع بقومه وخطب فيهم خطبة جامعة ذكر فيها فرحة اليهود والنصارى بموت نبينا -ﷺ-، وذكَّرهم بفتنة مسيلمة الكذاب، وطليحة بن خويلد الأسدي، وكان مما قال: " وأنا والله خائف على قبائل العرب أن ترتد عن دين الإسلام، فإن لم يقم بهذا الأمر رجل من بني هاشم، أو رجل من قريش؛ فهو والله الهلاك والبوار، ثم أنشأ يقول [الطويل]:

أَلَا قَدْ أَرَى أَنَّ الْفَتَى لَمْ يُخَلَّدِ
وَأَنَّ الْمَنَايَا لِلرِّجَالِ بِمَرْصَدِ

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

لَقَدْ جُدِعَتْ آذَانُنَا وَأُنُوفُنَا
غَدَاةَ فُجِعْنَا بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدِ
نَصَارَى يَقُولُونَ الشَّجَا وَمُنَافِقٌ
وَكُلٌّ كَفُورٌ شَامِتٌ مُتَهَوِّدُ
ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ مِنَ النَّاسِ كُلُّهُمْ
يَرُوحُ عَلَيْنَا بِالسِّنَانِ وَيَغْتَدِي
تَكَلَّمَ أَهْلُ الْكُفْرِ مِنْ بَعْدِ ذِلَّةٍ
لِغَيْبَةِ هَادٍ كَانَ فِينَا وَمُهْتَدِ
وَأَرْعَدَ كَذَّابُ الْيَمَامَةِ جَهْدَهُ
وَأَكْلَبَ فِينَا بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ
وَدَانَاهُ فِيمَا قَالَ غَيْرَ مُقَصِّرٍ
أَخُو الْجَهْلِ حَقًّا طَلْحَةَ بْنُ خُوَيْلِدِ
فَإِنْ يَكُ هَذَا الْيَوْمَ مِنْهُمْ شَمَاتَةٌ
فَلَا تَأْمَنُوا مَا يُحْدِثُ اللهُ فِي غَدِ
وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَقُومَ بِأَمْرِنَا
عَلِيٌّ أَوِ الصِّدِّيقُ أَوْ عُمَرُ مِنْ غَدِ(الواقدي، 1990م، 30)

فالشاعر يبين لقومه أن الناس انقسموا إلى ثلاثة أصناف كلهم يتكالبون على أذية المؤمنين باللسان والسنان، وحذرهم من التفرق والاختلاف، وحثهم على مبايعة خليفة يقوم بالأمر. وكان أثر هذا الخطاب كبير في تثبيت قبيلته على الدين ودفع وساوس الشك والريبة من قلوبهم.

خارج المدينة: أما خارج المدينة فكانت الاضطرابات والفتن تموج بقبائل العرب، ومن الطبيعي أن نجد بين المرتدين من هو مؤمن خالص الإيمان، بل منهم من كان له دور بارز في تثبيت قومه على الإيمان والعقيدة، وكان الشعر له الدور الأكبر في ذلك يقوم مقام السيف والرمح، فهو مؤثر في العرب تأثيرًا بليغًا، ومن هؤلاء عبد الله بن مالك الأرحبي، يقول [الطويل]:

لَعَمْرِي لَئِنْ مَاتَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٍ
لَمَا مَاتَ يَا بْنَ الْقَيْلِ رَبُّ مُحَمَّدِ

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

دَعَاهُ إِلَيْهِ رَبُّهُ فَأَجَابَهُ

فَيَا خَيْرَ غَوْرِيٍّ وَيَا خَيْرَ مُنْجِدِ(ابن حجر، 1995م، 4/ 192)، (أبو الخير، 2004م، 152)

همَّت قبيلة (همدان) بالردة، فقام فيهم عبد الله بن مالك – وكان صحابيًّا– خطيبًا، وذكر ابن حجر نقلًا عن ابن إسحاق أن له خطبة طويلة بليغة، فذكرهم بأنهم لم يعبدوا محمدًا، وإنما عبدوا رب محمد وهو حي لا يموت، مما يدل على الوعي الديني ورسوخ تعاليم الدين في قلبه، ثم أنشأ أبياتًا تحثهم على الثبات على الدين، ولم يُرو منها إلا هذين البيتين، وقد كان تأثير الخطابة والشعر في همدان كبيرًا إذ ثبَّت موقفهم على العقيدة ونجح في إزالة الشك والريبة، وقطع التردد بين الإيمان والكفر، وثابوا إلى رشدهم، فإن النبي –ﷺ– سيموت يومًا، فهو بشر ليس بمخلد، ولكنه دعا إلى الله الحي الذي لا يموت، فالعبادة تكون لله الحي القيوم.

ومن ذلك ما قاله (عدي بن عوف الكندي)، يحرض قومه على الثبات على الدين وينصح لهم [الكامل]:

يَا قَوْمِ إِنِّي نَاصِحٌ لَا تَرْجِعُوا
فِي الْكُفْرِ وَاتَّبِعُوا مَقَالَ النَّاصِحُ
لَا تَرْجِعُوا عَنْ دِينِكُمْ فِي رِدَّةٍ
بَغْيًا فَإِنَّ الْبَغْيَ أَمْرٌ فَاضِحُ
لَا يَأْخُذَنَّكُمُ لِقَوْلٍ عِزَّةٌ
حَتَّى يُخَالِفَكُمْ عَدُوٌّ كَاشِحُ
إِنِّي لَأَرْهَبُ بَعْدَ هَذَا إِنْ تَكُنْ
حَرْبٌ زَبُونٌ لِلْكِبَاشِ تَنَاطَحُ
لَا بَلْ أَخَافُ عَلَيْكُمُ مِثْلَ الَّذِي
لَاقَتْ ثَمُودُ قَبْلَ ذَاكَ وَصَالِحُ(الواقدي، 1990م، 178، (أبو الخير، 2004م، 105)

كانت قبائل كندة بعد وفاة النبي –ﷺ– انقسمت إلى فريقين: فريق ثبت على الإسلام وأدى الزكاة لعاملها زياد بن لبيد البياضي، وفريق أبى وعاند، ورفض خلافة أبي بكر، ومنع الزكاة، فقام عدي بن عوف ينصح لهم ويبين لهم تبعات منع الزكاة والردة عن الإسلام، وأخبرهم ألا يرجعوا عن دينهم بغيًّا، وألا يفعلوا ذلك اتباعًا لقول الأشعث والعصبية القبلية، فإن العاقبة وخيمة، والحرب ستكون وشيكة يقتل فيها رؤوس الشجعان

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

منهم، هذا في الدنيا، وفي الآخرة فإن مصيرهم سيكون مثل مصير الأمم المكذبة وهم ثمود قوم صالح. لكن مقاله لم يوافق هواهم، فقام إليه أبناء عمومته فسبوه، وضربوه، وهموا بقتله.

2. المبحث الثاني: موضوعات الثبات الديني في شعر صدر الإسلام.

2.1. المطلب الأول: تمجيد المؤمنين الثابتين والدفاع عن مركزية المدينة النبوية:

كان من الطبيعي أن يستدعي الخليفة قواده المشهورين بالحنكة والقيادة في الحرب من خارج المدينة ليعقد لهم ألوية لمحاربة المرتدين، والدفاع عن المدينة، وكان ممن استدعاهم، عمرو بن العاص، الذي تولى عمان، وكانوا مسلمين ثابتين لم يرتدوا، فلما جاء كتاب الخليفة إلى عمرو استوثق منهم، فأعلموه أنهم على الوفاء والعهد للإسلام، وتكلم ساداتهم (أبو صفرة ظالم بن سراق، وجفير بن جعفر، وعبادة بن الجلندي)، وخرجوا معه في سبعين فارسًا يؤمنون مسيره إلى المدينة، وقال عقبة بن النعمان العتكي في ذلك [الطويل]:

وَفَيْنَا لِعَمْرٍو يَوْمَ عَمْرٍو كَأَنَّهُ
طَرِيدٌ نَفَتْهُ مَذْحِجٌ وَالسَّكَاسِكُ
رَسُولِ رَسُولِ اللَّهِ أَعْظِمْ بِحَقِّهِ
عَلَيْنَا وَمَنْ لا يَعْرِفِ الحقّ هالك
رَدَدْنَاهُ لَمْ يُشْتُمْ لُؤَيُّ بْنُ غَالِبٍ
بِهِ الآنَ إِذْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْمَسَالِكُ
تَضَمَّنَهُ مِنَّا عِبَادٌ وَجَيْفَرٌ
وَظَالِمٌ الْمُودِي إِلَيْهِ الصَّعَالِكُ
فَأَصْبَحَ عَمْرٌو بِالْمَدِينَةِ سَالِمًا
يُقَهْقِهُ مَزْجِيًّا عَلَيْهِ الأَرَامِكُ(الواقدي، 1990م، 57)

فالشاعر يفتخر بوفائه لعمرو بن العاص أميرهم من قبل النبي –ﷺ– وأنهم منعوه من كل سوء، مما يوحي بإيمانهم الراسخ وعقيدتهم الصحيحة، ولم يرضوا بخروجه حتى أمنوه إلى المدينة وعاد سالمًا مسرورًا إليها، وكان من حسن الخلق وكرم الضيافة أن يرد عليهم عمرو بن العاص فمدحهم على صنيعهم، وثباتهم على الدين، فقال [الطويل]:

أَقُولُ وَحَوْلِي آلُ فِهْرِ بْنِ مَالِكٍ

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

جَزَى اللَّهُ عَنِّي الأَزْدَ خَيْرَ جَزَاءِ
أَتَيْتُ عُمَانًا وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ
وَلَيْسَتْ بِأَرْضٍ لِي وَلَا بِسَمَاءِ
فَحَيَّ هَلا بِالأَزْدِ أَرْبَابِ نِعْمَةٍ
وَأَهْلِ حِبَاءٍ صَادِقٍ وَوَفَاءِ(الواقدي، 1990م، 57)

ولما قدموا المدينة أثنى عليهم أبو بكر، وفرح المسلمون بهم وبقدوم عمرو، ومدح الأزد رجل من المسلمين تثبيتًا لهم على دينهم، وشكرًا لصنيعهم، فقال [الخفيف]:

يَمَنِيُّونَ وَالأَمَانَةُ في الأز
د وَوَشْكُ الْقِرَى وَحُسْنِ الْكَلامِ
وَبِحُسْنِ الْجِوَارِ قَدْ فضل النا
س وَمَنْعِ الْحِمَى وَقَتْلِ الْحَمَامِ
سِرْتُمْ لِلْوَفَاءِ خَيْرَ مَسِيرٍ
نَظَرًا فِي عَوَاقِبِ الأَيَّامِ(الواقدي، 1990م، 59)

وكان ممن استقدمه أبو بكر (أبان بن سعيد) الذي كان على البحرين، وقومها ثبتوا على الإسلام، فلما جاءه كتاب الخليفة استوثق من أهلها، فأسمعوه خيرًا، وتكلم ساداتهم بأنهم أسلموا طوعًا ولن يخرجوا من الإسلام بعد ما دخلوه يقينًا، وخرجوا معه في ثلاثين فارسًا يؤمنوه إلى المدينة، وقال رجل منهم [الطويل]:

أَتَانَا أَبَانٌ وَالْخُطُوبُ كَثِيرَةٌ
أَمِيرًا فَقُلْنَا مَرْحَبًا بِأَبَانِ
رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ أَعْظِمْ بِحَقِّهِ
عَلَى كُلِّ عَدْنَانٍ وَكُلِّ يَمَانِ
أَطَعْنَا فَلَمْ نَعْصِ أَبَانَا قِلامَةَ
وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَّا أَذًى بِلِسَانِ(الواقدي، 1990م، 62)

وكان من الطبيعي أن يشكر لهم أبان صنيعهم، وأن يثبتهم على موقفهم، فقال [مجزوء الرمل]:

جُزِيَ الْجَارُودُ خَيْرًا
عَنْ أَبَانِ بْنِ سَعِيدِ
وَصَبَاحٌ وأخوه
هرم خير عميد
أَسْلَمُوا طَوْعًا وَكَفُّوا
كُلَّ شيطان مريد
وَوَفُوا بِالعَهْدِ وَالذّ
مَّةِ وَالأَمْرِ الْحَمِيدِ(الواقدي، 1990م، 59)

وكان من رؤساء القوم الشجعان (عدي بن حاتم الطائي) إذ مدح قومه بالثبات على الدين، وحثهم على طاعة خليفة المسلمين، والذود عن حياض الدين، والدفاع عن المدينة، والتجهز لغزو قبائل أسد، وغطفان، وفزارة، فقال [الطويل]:

وَإِنَّا وَإِنْ جَاشَتْ فَزَارَةُ كُلُّهَا
وَذِبْيَانُ فِي مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ مُزْبِدِ
وَأَجْرَى لَهُمْ فِيهَا ذُيُولَ غُرُورِهِ
طُلَيْحَةُ مَأْوَى كُلِّ غَاوٍ وَمُلْحِدِ
نُغَادِرُهُمْ بِالْخَيْلِ حَتَّى نُقِيمَهُمْ
بِصُمِّ الْعَوَالِي وَالصَّفِيحِ الْمُهَنَّدِ
وَحَتَّى يُقِرُّوا بِالنُّبُوَّةِ أَنَّهَا
مِنَ اللَّهِ حَقٌّ وَالْكِتَابِ لأَحْمَدِ
وَقَدْ سَرَّنِي مِنْكُمْ مَعَاشِرَ طَيِّءٍ
حِمَايَةَ هَذَا الدِّينِ مِنْ كُلِّ مُعْتَدِ
وَبَيْعَكُمْ أَمْوَالِكُمْ وَنُفُوسِكُمْ
رَجَاءَ الَّذِي يَجْزِي بِهِ اللَّهُ فِي غَدِ
وَإِعْطَاؤُكُمْ مَا كَانَ مِنْ صَدَقَاتِكُمْ
بِغَيْرِ جِهَادٍ مِنْ لِسَانٍ وَلا يَدِ(الواقدي، 1990م، 64)

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

وقدم عدي بن حاتم وزيد الخيل ومعهما قومهما من طيء وجاؤوا بزكاة أموالهم إلى أبي بكر، وأخبروه أن قومهما على استعداد للحرب ضد المرتدين، والدفاع عن المدينة، فدعا لهما أبو بكر بخير، وأثنى عليهما، فقال الحارث بن مالك الطائي [الطويل]:

وَفَيْنَا وَفَاءً لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ
وَسَرْبَلَنَا مَجْدًا عَدِيُّ بْنُ حَاتِمِ
وَقَدْ كَانَ زَيْدُ الْخَيْلِ فِيهَا ابْنَ حُرَّةٍ
عَدُوًّا لِمَنْ عَادَى وَسِلْمُ الْمُسَالِمِ
أَفَاءَا عَلَى الصِّدِّيقِ أَنْعَامَ طَيِّءٍ
بَصِيرَانِ بِالْعُلْيَا وَكَسْبِ الْمَكَارِمِ
أَلا إِنَّ هَذَا الدِّينَ لِلَّهِ طَاعَةٌ
فَأَلْقُوا إِلَى مَنْ شَاءَكُمْ بِالْجَرَائِمِ(الواقدي، 1990م، 67)

والشاعر هنا يعلن عن ثبات قومه على الدين، ووعيهم بتعاليمه وأخلاقه، كما يعلن الطاعة لله، وهي تقتضي طاعة رسول، ثم طاعة من تولى أمر المسلمين من بعده، مما يوحي بوعيهم الديني والسياسي، ودورهم الحقيقي في الذود عن الدين والدفاع عه.

ومثل ما فعل عدي بن حاتم وزيد الخيل فعل الزبرقان بن عمرو التميمي مع قومه بني سعد، إذ وقف فيهم خطيبًا فذكر لهم ما صنع بنو طيء من جمع الزكاة والمسير للدفاع عن المدينة، وحثهم على إخراج زكاتهم، فقام رجل منهم معترضًا معلّلًا أنهم إنما رضوا بإعطاء الزكاة لرسول الله، ولم يرضوا بإعطائها لأبي بكر، وهنا كان الوعي الديني الحقيقي عند الزبرقان إذ قال: " بئس ما ظننتم يا بني تميم، إني أرد هذه الإبل، لأنني إنما قبضتها لله وفي حق الله عز وجل، والذي وجبت عليكم من زكاة أموالكم"(الواقدي، 1990م، 68)، وهو ردٌّ ينبئ عن الوعي الديني الصادق والشامل لأمور الدين، وكان الزبرقان ممن لقي النبي -ﷺ- وأكرمه لمكانته وعقله، وحسن بيانه، فأعلمهم أن الزكاة حق واجب في أموالهم، وأنها تؤدى لله، لا للأشخاص، وهذا هو الدين، فالدين لا يتغير بتغير الأفراد وإنما هو ثوابت محكمة، ثم أنشأ يقول [الطويل]:

لَقَدْ عَلِمَتْ قَيْسٌ وخندف أَنَّنِي
وَفَيْتُ إِذَا مَا فَارِسُ الْحَرْبِ أَحْجَمَا
وَقَالَ رِجَالٌ خَلِّ عَنْ صَدَقَاتِنَا

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

فَقُلْتُ نَعَمْ تِلْكَ الَّتِي تُورِثُ الْعَمَى
أَأَقْبِضُهَا لله ثُمَّ أَرُدُّهَا
إِلَيْكُمُ جَهِلْتُمْ فِي الْمَقَالِ وَبِئْسَمَا
وإني لأستحيي لبدر وشيخه
على كل حال أن يذم ويشتما(الواقدي، 1990م، 69)

فالشاعر يفتخر بوفائه وصدق عهده، وهي من القيم الخلقية التي رسخها الإسلام في قلوب المؤمنين، ثم يرد على من طلب منه إرجاع الزكاة إليهم، والبيت الأخير دفاع عن الخليفة أن يذم أو ينتقص من قدره سواء من قومه أو من المرتدين من غير قومه، ففيه تلميح بالدفاع عنه وعن المدينة والمسلمين، ولما قدم المدينة فرح به أبو بكر وضمه إلى جيش خالد.

المطلب الثاني: تثبيت مركزية الخلافة والولاء لها:

كان الشعر في هذه المرحلة الحرجة هو المؤثر في الحراك السياسي والنبض الإعلامي الحي لتثبيت الوعي عند المسلمين وغيرهم، ومنذ أول مشاورات بين الصحابة وإعلان موقف الخليفة من المرتدين، لهج الشعراء بإذاعة هذا الموقف ونشره، وتثبيت مفاهيمه، ومن ذلك قول الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ الْمَخْزُومِيُّ [الكامل]:

إِنَّ الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ نُفُوسُنَا
فِي الْحَادِثَاتِ مِنَ الْحُرُوبِ تَتُوقُ
قَوْلُ الْخَلِيفَةِ قَاتِلُوا أَعْدَاءَكُمْ
إِنَّ الدَّنِيَّةَ رَدَّةُ التَّعْوِيقِ
وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُوا عِقَالا وَاحِدًا
أَوْ فَاتَ مما عنده تفروق
لَرَمَيْتُ قَوْمًا بِالْقَبَائِلِ وَالْقَنَا
مَنَعُوا الزَّكَاةَ وإِنَّني لمحوق(الواقدي، 1990م، 52)

فالشاعر هنا يؤكد على ما اجتمعت عليه كلمة المسلمين، وكان يدور في نفوس بعضهم، وجرى هذا الأمر مع توالي معارك الردة وما رأى فيها المسلمون من عناد وقوة عدوهم، كما حدث في معارك اليمن ووقائعها، حين حصر زياد بن لبيد وأرسل يستغيث بالخليفة، فجمع أبو بكر الناس يشاورهم فكان ممن تكلم

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

أبو أيوب الأنصاري، فأشار عليه أن يترك الزكاة منهم هذا العام، فالقوم عندهم نخوة الملك، ولهم منعة ويلتف حولهم جمع كثير، لكن أبا بكر رفض ذلك، وعزم على إمداد زياد وقتال أهل اليمن، فسجل حسان بن ثابت هذا الموقف، ولا شك أن الشعر لمكانته يسهل على العرب ترديده، ويحدون به، ويتغنون، فكان لتسجيل هذا الموقف أثر بالغ في معرفة القاصي والداني لموقف أبي بكر الذي لن يحيد عنه، وعلموا عزمه، وفتَّ ذلك في عزم في عزم المرتدين، فقال حسان بن ثابت [الكامل]:

لَمَّا أَبُو أَيُّوبَ قَامَ بِخُطْبَةٍ
يَنْهَى أَبَا بكر وقَالَ مَقَالَا
إِنْ تَلْقَ كِنْدَةَ تَلْقَهُمْ يَوْمَ الْوَغَى
تَحْتَ الْعَجَاجِ فَوَارِسًا أَبْطَالا
فَاتْرُكْهُمُ عَامًا هُنَاكَ لَعَلَّهُمْ
أَنْ يَحْمِلُوا نَحْوَ الْهُدَى أَمْوَالا (الواقدي، 1990م، 173)
فَلَذَاكَ خَيْرٌ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي
مِنْ أَنْ تُرَى مُتَعَسِّفًا قَتَّالا
فَأَجابَهُ الصِّدِّيقُ أَنْ لَوْ أَنَّنِي
مِمَّا الرّسول حوى مُنِعتُ عقَالَا
قَاتَلْتُهُمْ بِالْمُرْهِفَاتِ وَبِالْقَنَا
وَثَنَيْتُ خَيْلِي نَحْوَهُمْ وَرِجَالا
حَتَّى يُنِيبُوا رَاجِعِينَ إِلَى الْهُدَى
وَيُرَوْنُ طُرًّا تَارِكِينَ ضَلالا

وامتد التأييد للخليفة خارج المدينة من قواده وعماله على القبائل، فقويت قلوبهم للقتال بمن آمن معهم من كفر وأنكر خلافة أبي بكر، فقال زياد بن لبيد [الطويل]:

نُقَاتِلُكُمْ فِي اللَّهِ وَاللَّهُ غَالِبٌ
عَلَى أَمْرِهِ حَتَّى تُطِيعُوا أَبَا بَكْرِ
وَحَتَّى تَقُولُوا بَعْدَ خِزْيٍ وَذِلَّةٍ
رَضِينَا بِإِعْطَاءِ الزَّكَاةِ عَلَى الْقَسْرِ

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

وَحَتَّى تَقُولُوا بَعْدَ كُفْرٍ وَرِدَّةٍ
بِأَنَّا أُنَاسٌ لا نَعُودُ إِلَى الْكُفْرِ(الواقدي، 1990م، 173)

ومن ذلك قول عمرو بن العاص بين يدي الخليفة موجها حديثه لقُرَّةُ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ الْقُشَيْرِيُّ [الكامل]:

يَا قَرُّ إِنَّكَ لا مَحَالَةَ مَيِّتٌ
يَوْمًا وَإِنَّكَ بَعْدَ مَوْتِكَ رَاجِعُ
إِنْ كَانَ أَوْدَى بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
صَلَّى الإِلَهُ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَاجِعُ
فالله حَيٌّ لا يَمُوتُ وَدِينُنَا
دِينُ النَّبِيِّ وَلِلرِّجَالِ مَصَارِعُ
لَيْسَ الْخَلِيفَةُ تَارِكًا لِزَكَاتِكُمْ
مَا دَامَ سَلْعٌ فِي الْبَسِيطِ وَفَارِعُ(الواقدي، 1990م، 97)

والأبيات لها قصة طويلة يرجع إليها في مصادرها، ولكن الواضح من خلال هذه النماذج المتعددة أن المسلمين كانوا يسخرون كل ما يملكون من طاقة شعرية وقتالية لنصرة الخليفة، والدفاع عن الإسلام، ولا يألون جهدًا في ذلك.

المبحث الثالث: خطاب الردة في الشعر بين التستر والمواجهة.

المطلب الأول: محاولات شعرية لتبرير الردة أو التخفيف من وقعها:

إن المتأمل في حركات الردة يجد أن أصحابها دعتهم إليها في المقام الأول العصبية القبلية، يدعمها ضعف الوازع الديني في قلوبهم، ولذا لما مات النبي –ﷺ– تغيرت الرؤية الفكرية عندهم لأنها رؤية مغلوطة، وكانت ادعاءات ردتهم وحججهم ضبابية الرؤية، سطحية التناول، تنزع إلى الجهل لا العلم، يمكننا تلخيص تبريراتهم فيما يلي:

1–ادعوا أنه –ﷺ– لو كان نبيًّا ما مات، وقد قال الله تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} [آل عمران: 144]، وهذا في حياته –ﷺ– فدل على أن القرآن أخبرهم بحاله في حياته، فمن أنكر

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

ذلك إما لجهله بالقرآن، وإما جحوده وركونه إلى العصبية. وهذا الأمر لم يرد فيه الشعر إلا النادر، بينما سجلته الخطب.

2-الزكاة جباية وإتاوة تؤخذ من أموالهم، وهي حجة واهية فإن الزكاة فرضت لتأخذ من أموال الأغنياء وترد على فقرائهم في قبيلتهم، فجعل الإسلام تكافلًا اجتماعيًّا فريدًا في العرب بدلًا من الإعطاء والمن، وأما ما زاد عن حاجة القبيلة فيستعين به ولي الأمر على تدبير شؤون المسلمين. وقد ورد في الشعر ما يؤكد هذه الدعوى.

3-رفض خلافة أبي بكر، بدعوى أنه ليس أحق بها من أهل بيت النبي -ﷺ-، وأنه من قبيلة أقل شرفًا من بعض القبائل المعروفة بالملك، وهي دعوى واهية أيضًا؛ لأن كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار ارتضوه خليفة لمكانته من رسول الله -ﷺ- فقام بها حق القيام. وقد صوَّر المرتدون ذلك في أشعارهم:

1-رفض خلافة أبي بكر:

نجد قول الحطيئة [الطويل]:

أَطَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ كَانَ بَيْنَنَا
فَيَا عجبًا ممّن يطيع أبا بكر
لِيُورِثَهُ بَكْرًا إِذَا كَانَ بَعْدَهُ
وَتِلْكَ وَبَيْتِ اللَّهِ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ
وَمَا لِبَنِي تَيْمِ بْنِ مُرَّةَ إِمْرَةٌ
عَلَيْنَا وَلا تِلْكَ الْقَبَائِلُ مِنْ فِهْرِ
لأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْجَبَ طَاعَةً
وَأَوْلَى بِمَا اسْتَوْلَى عَلَيْهِمْ مِنَ الأَمْرِ

(الواقدي، 1990م، 172) وقد نسبها الواقدي لحارثة بن سراقة، والبيتان الأوليان في ديوان الحطيئة،

فالقصية توضح ادعاء المرتدين وسبب ارتدادهم أنهم أعطوا الزكاة للنبي -ﷺ- ولا يعطونها لغيره، وأنهم معترضون على خلافة أبي بكر فقبيلة تيم بن مرة لا ترقى لأن تملك رئاسة العرب، وكان الرسول -ﷺ- من أشرف القبائل وأعلاها منزلة، وهذه الدعاوى كلها في جانب الوعي الديني واهية لا قيمة لها، فلو كان هناك وعي ديني حقيقي لعلم صاحبه أن الإسلام ألغى الفوارق الطبقية والنزعات القبلية ففي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ،

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتِنَ»، وقد أمر النبي –ﷺ– بطاعة أميره حتى وإن كان عبدًا حبشيًّا، كما في الحديث: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا»، مما يؤكد ضعف الوعي الإيماني والميل إلى العصبية القبلية الجاهلية.

ومن ذلك قول الأشعث بن قيس الواقدي [الطويل]:

لَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتْ قُرَيْشٌ تَتَابَعَتْ
عَلَى بَيْعَةٍ بعد الرسول وسمّحوا
بِهَا لِبَنِي تَيْمِ بْنِ مُرَّةَ جَهْرَةً
وَسَمَّوْا عَتِيقًا عِنْدَ ذَاكَ وَصَرَّحُوا
أَمِيرًا وَنَحَّوْا عَنْهُ آلَ مُحَمَّدٍ
وَكَانُوا بِهَا أَوْلَى هُنَاكَ وَأَصْلَحُ
وَإِنْ صَلَحَتْ فِي تَيْمِ مُرَّةَ إِمْرَةٍ
فَفِي كِنْدَةَ الأَمْلاكُ أَحْرَى وَأَصْلَحُ
لأَنَّا مُلُوكُ النَّاسِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُرَى
عَلَى الأَرْضِ تَيْمِيٌّ وَلا مُتَبَطِّحُ
فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي عَتِيقًا بِأَنَّهُ
أَنَا الأَشْعَثُ الْكِنْدِيُّ بِذَاكَ مُصَرِّحُ
إِذَا مَا غَضِبْنَا مَادَتِ الأَرْضُ وَانْكَفَتْ
فَإِنْ رَضِينَا الأَرْضُ لا تَتَزَحْزَحُ (الواقدي، 1990م، 175، 176)

وكان الحارث من ملوك كندة وساداتهم، وشعره يتضمن المعنى السابق، ويزيد على ذلك بالمقارنة بين بني تيم بن مرة قبيلة أبي بكر والتي لم تعرف بمناقب في الجاهلية، وبين قبيلته كندة المشهورة بالملوك والحضارة.

ومنه قول الحارث بن معاوية [الكامل]:

كَانَ الرَّسُولُ هُوَ الْمُطَاعُ فَقَدْ مَضَى

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ لَمْ يَسْتَخْلِفِ
هَذَا مَقَالُكَ يَا زِيَادُ فَقَدْ أَرَى
أَنْ قَدْ أَتَيْتَ بِقَوْلِ سُوءٍ مُخْلِفِ
وَمَقَالُنَا أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ غَيْرُ مُكَلِّفِ
تَرَكَ الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ لِوُلَاتِهِ
وَدَعَا زِيَادٌ لامْرِئٍ لَمْ يَعْرِفِ
إِنْ كَانَ لابْنِ أَبِي قُحَافَةَ إِمْرَةٌ
فَلَقَدْ أَتَى فِي أَمْرِهِ بِتَعَسُّفِ
أَمْ كَيْفَ سَلَّمْتَ الْخِلَافَةَ هَاشِمٌ
لِعَتِيقِ تَيْمٍ كَيْفَ مَا لَمْ تَأْنَفِ(الواقدي، 1990م، 177)

كان زياد بن لبيد البياضي عاملًا للصدقة على اليمن، فلما استخلف أبو بكر دعا زياد لبيعته؟، فاعترض عليه الحارث بن معاوية قائلًا له: إنك لتدعو إلى الطاعة لرجل لم يعهد إلينا ولا إليكم فيه عهد، فأخبره أن الأنصار والمهاجرين ارتضوه وهو أعلم به منكم، فرفض وادعى أنهم أخذوها غصبًا من آل محمد –ﷺ–، ثم أنشأ هذه الأبيات التي تدل على رفضه لخلافة أبي بكر وما فيها من أسباب الرفض. وقد صدق كلامه كثير من قومه وانساقوا وراء هذه الدعاوى الواهية، فقال عرفجة بن عبد الله الذهلي [الطويل]:

لَعَمْرِي وَمَا عُمْرِي عَلَيَّ بِهَيِّنٍ
لَقَدْ قَالَ حَقًّا حَارِثُ بْنُ مُعَاوِيَهْ
أَيَمْلِكُ عَبْدٌ رَبَّهُ إِنَّ دَهْرَنَا
لَيَطْرُقُنَا فِي كُلِّ حِينٍ بِدَاهِيَهْ
فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنَّا عَتِيقًا رِسَالَةً
لَبِسْتَ لِبَاسَ الظَّالِمِينَ عَلَانِيَهْ
لَحَا اللَّهُ مَنْ أَعْطَاكَ طَاعَةَ بَيْعَةٍ
مُقِرًّا وَلَا أَبْقَى لَهُ الدَّهْرُ بَاقِيَهْ

مَجَلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

أَتَمْلِكُهَا دُونَ الْقَرَابَةِ ظَالِمًا
لَكَ الذَّبْحُ ذَرْهَا إِنَّمَا هِيَ عَارِيَةْ(الواقدي، 1990م، 177)

جاء التحريض على منع الزكاة كسبب للردة وعامل أساسي في خروجهم من الإسلام، وهو في الحقيقة إنما هو خروج للعودة إلى العصبية القبلية، وحمية الجاهلية التي قضى عليها الإسلام، وهذا نتيجة انخفاض الوعي الديني الذي يترجم في سلوك المسلم، فالبعد المعرفي الصحيح لأركان الدين، وتشبع المعرفة في البعد الوجداني، يطبع على البعد السلوكي للفرد، ولذا نجد الكثير من القبائل تدعي أن الزكاة جباية أو إتاوة، وقد فندنا هذا الرأي.

ومن هؤلاء: قبيلة بني أسد، يقول طلحة بن خويلد الأسدي [الطويل]:

بَنِي أَسَدٍ لَا تُطْعِمُوا صَدَقَاتِكُمْ
مَعَاشَرَ حَيٍّ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ
وَحَامُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ بِرِمَاحِكُمْ
وَبِالْخَيْلِ تَرْدِي، وَالسُّيُوفِ الْقَوَاضِبِ
كَمَا كُنْتُمُ بِالْأَمْسِ فِي جَاهِلِيَّةٍ
تَهَابُكُمُ الْأَحْيَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
فَلَمْ يَظْفَرُوا مِنْكُمْ بِشَيءٍ وَكُنْتُمُ
شَجَا نَاشِبا وَالدَّهْرُ جَمُّ الْعَجَائِبِ
فَإِنْ قَامَ بِالْأَمْرِ الْمُخوِّفِ قَائِمٌ
مَنَعْنَا حِمَانَا أَوْ لَحِقْنَا بِمَأْرِبِ
وَخَلَّفْتُمُ الْأَرْضَ الْفَضَاءَ وَإِنَّنِي
أُحَاذِرُ فِيمَا كَانَ جَبَّ الْغَوَارِبِ
وَقَدِمًا أَتَتْكُمْ مِنْ عُيَيْنَةَ قَالَةٌ
وَلَيْسَتْ لَهُ فِيمَا يُرِيدُ بِصَاحِبِ
فَإِنْ تَحْذَرِ الْحَرْبَ الْعَوَانِ فَإِنَّنِي
لِحَرْبِ قُرَيْشٍ كُلِّهَا غَيْرُ هَائِبِ(الواقدي، 1990م، 51)

فالنص يعبر عن العصبية الجاهلية وقلة الوعي الديني، كيف لا، وقد ادَّعى طليحة النبوة، وانضم إليه عيينة بن حصن الفزاري في نفر من غطفان، وقويت شوكتهم، فلما علموا بقدوم جيش خالد بن الوليد، تنبأ لهم وحثهم على الثبات على قتال المسلمين، وأخذ يحثهم على منع الزكاة، والدفاع عنها بالسيوف والرماح؛ لأنها أموالهم، فهي ليست أموال الله وحق الفقراء، وتذكيره بالجاهلية إقرار بما أحدثه الإسلام من تغيير في المجتمع القبلي، وأما عيينة بن حصن فكان رقيق الإسلام أو كان منافقًا على الأصح، إذ رحل قبل ذلك إلى المدينة يستجدي أبا بكر والمسلمين أن يعطوه عطاء يمنع به مَن وراءه، لكنه رفض، ولما أُسر عيينة يروي الواقدي اعترافه على نفسه بالنفاق: " ...ويقولون له: (يا عدو الله، أكفرت بعد إيمانك، وقاتلت المسلمين). فقال: (والله ما آمن ذلك الرجل بالله ساعة قط)، يعني نفسه.

ثم أوتي به، فقال له أبو بكر: (يا عدو الله، أسلمت وقرأت القرآن ثم رجعت عن دين الإسلام كافرا، لأضربن عنقك صبرًا). قال عيينة: (يا خليفة رسول الله –ﷺ– وسلم، إن الجميل أجمل، وقد كان رسول الله –ﷺ– أعرف بي منك، لم يخف عليه شيء من أمري، ولقد خرج من الدنيا وإني لمقيم على النفاق، غير أني تائب إلى الله وإليك في يومي هذا، فاعف عني، عفا الله عنك) (الواقدي، 1990م، 96).

ومنهم قبائل من كندة، يقول حارثة بن سراقة [الطويل]:

وَإِنَّ أُنَاسًا يَأْخُذُونَ زَكَاتَكُمْ
أقلّ وربّ البيت عندي من الذّرّ
وَإِنَّ الَّذِي تُعْطُونَهُ بِجَهَالَةٍ
لَكَالتَّمْرِ أَوْ أَحْلَى بِفِينَا مِنَ التَّمْرِ
حَلَفْتُ يَمِينًا غَيْرَ حَنْثٍ مَشُوبَةً
وَإِنِّي لأَهْلٌ أَنْ أُوَفِّي بِهَا نَذْرِي
عَلَى مَا تَرْجُو قُرَيْشٌ وَدُونَ مَا
يُرَجُّونَ طَعْنٌ بِالْمُثَقَّفَةِ السُّمْرِ
وَضَرْبٌ يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ
كَمَا كَانَتِ الأَشْيَاخُ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ
أَنُعْطِي قُرَيْشا مَالَنَا إِنَّ هَذِهِ
لَتِلْكَ الَّتِي يَخْزَى بِهَا الْمَرْءُ فِي الْقَبْرِ
فَيَا قَوْمِ لا تُعْطُوا اللِّئَامَ مُقَادَةً

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

وَقُومُوا وَإِنْ كَانَ الْمُقَامُ عَلَى الْجَمْرِ (الواقدي، 1990م، 172)

والنص يحمل نفي المعاني السابقة من قلة الوعي الديني، والدعوة إلى العصبية الجاهلية التي نهى عنها الإسلام، مما يوحي بأن أصحاب هذه الدعاوى طلبوا بها الملك والرئاسة كما كانوا في الجاهلية.

2.2. المطلب الثاني: الشعر بوصفه حارسًا للعقيدة:

لا شك أن العقيدة هي أغلى ما يملكه المسلم وهي المحرك الأول لدوافعه وسلوكياته، والصحابة هم أفضل الناس الذين تربوا على هذه العقيدة الصحيحة من منبعها على الوحيين بين يدي رسول الله –ص–، ولذا فإن البناء المعرفي والفكري لدى المسلم راسخ الإيمان يختلف عن غيره ممن ضعف عنده الوعي الديني الشمولي بالإسلام، ولما كانت الردة فتنة يمتحن الله به المسلمين من غيرهم، وجدناهم يستعملون السنان واللسان في الذود عن الدين، فإذا كانت حجة المرتدين منع الزكاة، وجدنا من الشعراء من يصحح المفاهيم لهم، ويدافع عن الزكاة ويقرنها بالصلاة، ومن هؤلاء: (زيد الخيل) أحد فرسان طيء وساداتهم، يقول محرضًا قومه على مانعي الزكاة [الطويل]:

فَإِنْ تَمْنَعُوا حَقَّ الزَّكَاةِ وَتَتْرُكُوا
صَلاةً وَفِي هَاتَيْنِ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ
فَنَحْنُ لأَجْلابِ الْحَوَادِثِ عُرْضَةٌ
وَمَا مِثْلُنَا حَيٌّ عَلَى العسر واليسر
نُقَاتِلُكُمْ فِي اللَّهِ حَتَّى نُقِيمَكُمْ
بِصُمِّ الْعَوَالِي وَالْمُهَنَّدَةِ السُّمْرِ (الواقدي، 1990م، 66)

وإذا كان مِن المرتدين كبني أسد وغطفان مَن يرفض خلافة أبي بكر فإنه صار ولي الأمر وتجب طاعته، ولذا فإن القتال على ذلك واجب حتى يعودوا إلى الإسلام ويعترفوا بخلافته، ويتأدبوا في خطابه، يقول حريث بن زيد الخيل [الوافر]:

مَتَى نَغْزُوكُمْ نَرْجِعْ بِنَهْبٍ
وَنَشْفِ الصَّدْر مِن دَاءِ الْغليلِ
مِنَ الحيَّين مِنْ أَسَدٍ جَمِيعًا
وَمِنْ غَطَفَانَ تَهْتِفُ بِالْعَوِيلِ
إِلَى أَنْ تقْبلُوا الإِسْلَام كرهًا

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

بحدِّ الرَّمح والسَّيف الصَّقيل
وحتَّى تَدْعُوَ الأَحْيَاءُ طرًّا
أَبَا بَكْرٍ أَبَا فَحْلِ الْفُحُولِ(الواقدي، 1990م، 90)

فجاء الشعر دفاعًا عن الثوابت العقدية، وعدم التفريق بين أركان الإسلام، أو الخروج عن الجماعة ومفارقتها؛ فإن من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية.

أما شعراء المدينة وعلى رأسهم حسان بن ثابت فكان دوره المجاهدة بشعره أيضًا، غير أنه كان يبعث به إلى المرتدين يبين كذب من اتبعوهم، كمسيلمة الكذاب وطليحة الأسدي، أو يحذرهم من قوة المسلمين وبأسهم حتى يعودوا إلى الإسلام ويراجعوا أنفسهم قبل الفاجعة، وكان لشعره أثر بالغ في ذلك، فقد بعث إلى محكم بن طفيل وزير مسيلمة الكذاب يبين له كذب صاحبه، ويحذره من بأس خالد بن الوليد، فقال [البسيط]:

يَا مُحْكَمَ بْنَ طُفَيْلٍ قَدْ نَصَحْتُ لَكُمْ
أَتَاكُمُ اللَّيْثُ لَيْثُ الْحَضَرِ وَالْبَادِي
يَا مُحْكَمَ بْنَ طُفَيْلٍ قَدْ أُتِيحَ لَكُمْ
للهِ دَرُّ أَبِيكُمْ حَيَّةَ الْوَادِي
يَا مُحْكَمَ بْنَ طُفَيْلٍ إِنَّكُمْ نَفَرٌ
كَالشَّاءِ أَسْلَمَهَا الرَّاعِي لِآسَادِ
مَا فِي مُسَيْلَمَةَ الْكَذَّابِ مِنْ عِوَضٍ
مِنْ دَارِ قَوْمٍ وَأَمْوَالٍ وَأَوْلَادِ
فَاكْفُفْ حَنِيفَةَ عَنْهُمْ قَبْلَ نَاعِيَةٍ
تَنْعَى فَوَارِسَ حَرْبٍ شَجْوُهَا بَادِ
وَيْلُ الْيَمَامَةِ وَيْلٌ لَا قَوَامَ لَهُ
إِنْ جَالَتِ الْخَيْلُ فِيهَا بِالْقَنَا الصَّادِي(الواقدي، 1990م، 164)

كما أنه ردَّ على محكم هذا شعره الذي بعث به إلى خالد بن الوليد، فقال حسان [المتقارب]:

حَنِيفَةُ قَدْ كَادَكَ الْكَائِدُ
وَبَعْدَ غَدٍ جَمْعُهُمْ هَامِدُ

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

فَوَيْلُ الْيَمَامَةِ وَيْلٌ لَهَا
إِذَا مَا أَنَاخَ بِهِمْ خَالِدُ
هُوَ الْقَاتِلُ الْقَوْمَ يَوْمَ الْبُزَاخِ
وَقَدْ طَاعَنُوهُ وَقَدْ جَالَدُوا
وَأَوْطَا بَنِي أَسَدٍ ذِلَّةً
وَذُبْيَانُ أَوْطَا وَقَدْ عَانَدُوا(الواقدي، 1990م، 164)

كما أرسل حسان إلى كندة وهم ملوك اليمن شعرًا يحثهم فيه على الرجوع إلى الإسلام، مع مدحه لمكانتهم ومنزلتهم، ليبين لهم أن الإسلام يعطي كل شريف حقه فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا، ولذا كان خطابه معهم رقيقًا يتسم بالمدح واللين، فقال [المتقارب]:

أَنِيبُوا إِلَى الْحَقِّ يَا قَوْمَنَا
فَإِنِّي لَكُمْ نَاصِحٌ فَاقْبَلُوا
وَلا تَأْنَفُوا الْيَوْمَ أَنْ تَرْجِعُوا
فَإِنَّ الرُّجُوعَ بِكُمْ أَجْمَلُ
فَأَنْتُمْ أُنَاسٌ لَكُمْ سُؤْدَدٌ
وَيُنْمِيكُمُ الشَّرَفُ الأَطْوَلُ(الواقدي، 1990م، 191)

ومن الانتصار للعقيدة وحراستها أن ينتقل المسلم من دار الكفر إلى دار الإيمان، وهذا يدل على وعيه الديني؛ لأنه إن كان بين أظهرهم فسيرى ويسمع ما يسوؤه عن دينه ونبيه، وربما انزلق إلى الشرك مرة أخرى، وهذا ما فعله كثير من المسلمين بالهروب من بين أظهر المرتدين، ومنهم: امرؤ القيس الكندي يقول [الوافر]:

أَلا أَبْلِغْ أَبَا بَكرٍ رسولًا
وسكّان المدينةِ أجمعينَا
فَلَيْسَ مُجَاوِرًا بَيْتِي بُيُوتًا
بِمَا قَالَ النَّبِيُّ مُكَذِّبِينَا
فَلَسْتُ بِعَادِلٍ للهِ رَبًّا
وَلا مُتَبَدِّلا بِالسِّلْمِ دِينَا(الواقدي، 1990م، 169)

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

الخاتمة:

ومن خلال دراستنا لشعر الردة ومفهومها في هذه المرحلة يتبين لنا بعض النتائج التي توصلنا إليها وأهمها:

- أن المرتدين عن الإسلام كانوا عدة أصناف منهم من ادَّعى النبوة، وهو أخبثهم، ومنهم من رفض خلافة أبي بكر، ومنهم من ضن بأمواله ومنع الزكاة، وكل هؤلاء كان عندهم الوعي الديني إما منعدمًا، وإما ضعيف للغاية، مما أدى سوء الخلط والفهم لأركان الإسلام.
- أشعلت حروب الردة الحمية في قلوب الفريقين فلهجت الألسنة بالشعر ينظمه المشهورون وغيرهم من الشعراء المغمورين، وتغنوا بالرجز وسط المعارك، ليبثوا الحمية في الجند، وكان هناك ردود شعرية بين الفريقين مما أسهم في إعادة الحركة الشعرية وكثرة نتاجه، ولكن القليل هو ما وصل إلينا.
- اتسم شعر الردة بقصر الأبيات فلم نجد المطولات من القصائد إلا نادرًا، ويعود ذلك إلى طبيعة الموقف القتالي الذي أُنشِأ فيه الشعر، كما اتسم بالتركيز على الفكرة، والمباشرة في المعاني، والعفوية اللغوية، فلم يحفل بالتنقيح البلاغي والجمالي عند الشعراء.
- كانت الرؤيا العقدية واضحة عند شعراء المسلمين، بينما اتسمت الرؤيا عند المرتدين بالضبابية وعدم الوضوح مما أدي إلى ضعف مبرراتهم في الارتداد عن الدين، إذ تركزت حججهم في رفض خلافة أبي بكر، أو البخل بأموالهم لأنهم يعدونها جباية تؤخذ منهم، ويعود ذلك كله إلى قلة الوعي الديني والعصبية الجاهلية التي سيطرت عليهم.
- كان الوعي الديني عند شعراء المسلمين أوضح إذ لم يفرقوا بين أركان الدين، فلو ترك المرتدون الزكاة أو جحدوها لقاتلهم المسلمون عليها لأنها مقرونة بالصلاة، والدين كل لا يتجزأ. أما رفض خلافة أبي بكر فإن قدماء الصحابة من المهاجرين والأنصار أعلم بمن يختاروا، وقد اختاروا ثاني اثنين إذ هما في الغار، وأقرب الناس وأعلمهم برسول الله ﷺ.
- يختلف مستوى الوعي الديني عند الأشخاص حسب البيئة التي يعيش فيها الشخص، فمن خالط النبي ﷺ من القبائل خارج المدينة تمسكوا بإيمانهم، بينما أكثر المرتدين أسلموا رغبا، أو رهبًا، فلما واتتهم الفرصة ارتدوا على أعقابهم.
- عملية الوعي الشامل والإدراك السياسي للدولة كانت واضحة عند كثير من الصحابة وخاصة أبا بكر الذي تمسك باللحمة العربية ولم يواجه الأعداء الخارجيين إلا بعد القضاء على الردة، باستثناء جيش أسامة لأنه تنفيذ لأمر الرسول ﷺ ويخدم أهداف الدولة.

- اتحاد جبهة المسلمين في الدفاع عن الإسلام والتمسك بالوحدة الدينية ظهر ذلك في دفاع شعراء المسلمين ومنافحتهم عن الخليفة رمز السلطة، ومناصحتهم للمرتدين حتى لا يقعوا فريسة القتل والتشريد، وتذكيرهم لهم بأمور الدين والعقيدة حتى يعودوا إلى الدين الصحيح.
- ومع ما تقدم يظل شعر حركات الردة نتاج فني تراثي يحتاج إلى الدراسة والكشف عن سماته وملامحه الفنية، والغوص في تحليله النفسي، للوقوف على حقيقة هذه الحقبة التاريخية المهمة والحرجة في تاريخنا الإسلامي، فهو وثيقة تاريخية سجلت معارك سنانية ولسانية بين عرب خُلَّص يجمعون بين أصالة اللسان العربي وأدائه اللغوي الصحيح، وبين الشعر بجمالياته وما يحمله من ذات الشاعر والعملية التواصلية بينه وبين المتلقي.
- الشعر كان أداة فعّالة في صياغة وعي إسلامي جماعي، قادر على امتصاص صدمة الردة، واستعادة التوازن الفكري، وتحويل الحادثة من نكسة إلى محفز على تثبيت الإيمان، وإعادة بناء التصور العقدي، وبذلك مثّل الشعر إحدى أهم أدوات الدفاع عن الإسلام في تلك اللحظة التاريخية الفارقة.

ثانيًا: التوصيات:

توصي الدراسة بما يأتي:

- التوجه إلى شعر الردة ودراستها من ناحية الوعي الديني والسياسي في رسالة علمية، كما توصي بدراسته من الناحية الجمالية الفنية للشعر في ضوء المناهج الحديثة، كما تشير إلى أنه معين لغوي جديد خصب ينبغي دراسته في ضوء علم اللغة الحديث واللسانيات الحديثة.
- دعوة الباحثين في الأدب الإسلامي إلى توسيع دائرة الاهتمام بمرحلة ما بعد الردة، بوصفها لحظة تأسيس فكري وروحي تستحق التأمل الأدبي، لا مجرد التوثيق التاريخي، وإنشاء مدونة نصية تحوي الأشعار التي قيلت في حروب الردة أو تعلّقت بها، وتصنيفها على وفق موضوعاتها العقدية والاجتماعية؛ ما يتيح دراستها دراسة منهجية حديثة.
- دمج الدراسات العقدية والبلاغية في تحليل شعر صدر الإسلام، لتفكيك خطاب الثبات والارتداد ضمن سياقه العقدي والسياسي، بدل الاقتصار على المعالجة الفنية الجمالية.
- أهمية الاستفادة من شعر الردة في الخطاب الدعوي المعاصر، بإعادة توظيفه بوصفه مصدرًا يعكس الوعي الديني الناضج في لحظة الاضطراب والفتنة، وبيان كيف يمكن للكلمة أن تصنع ثباتًا.

- تشجيع المقاربات البينية التي تجمع بين الشعر والفقه والتاريخ، لقراءة الظواهر العقدية الكبرى في ضوء ما أنتجته الذاكرة الأدبية من استجابات وبدائل فكرية.

المصادر

القرآن الكريم.

[1] ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد. (1995م). الإصابة في تمييز الصحابة (تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، الطبعة الأولى). دار الكتب العلمية – بيروت.

[2] ابن دريد الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن. (1987م). جمهرة اللغة (تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الطبعة الأولى). دار العلم للملايين – بيروت.

[3] ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السَلامي. (2001م). جامع العلوم والحكم (تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باجس، الطبعة السابعة). مؤسسة الرسالة – بيروت.

[4] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. (1997م). البداية والنهاية (تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى). دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

[5] أبو الخير، محمود عبد الله. (2004م). ديوان حروب الردة (الطبعة الأولى). المكتبة الأردنية الهاشمية – عمان.

[6] الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي. (1899م). تاريخ الرسل والملوك (الطبعة الثانية). دار التراث – بيروت.

[7] النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف. (1991م). روضة الطالبين وعمدة المفتين (تحقيق: زهير الشاويش، الطبعة الثالثة). المكتب الإسلامي – بيروت، دمشق، عمان.

[8] الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي. (1990م). الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة الشيباني (تحقيق: يحيى الجبوري، الطبعة الأولى). دار الغرب الإسلامي – بيروت.